

فصولٌ من الذاكرة العُمانية
(٩)

محبوب
الإصدار الثاني بعد المئة

الشيخ المحسن
سالم بن محمد الرّواحي
في ذكراه الثمانين



بقلم
سُلطان بن مُبارك بن حمّد الشّيبانيّ

سلسلة: فصول من الذاكرة العُمانية

الحلقة التاسعة

الشيخ المحسن سالم بن محمد الرواحي في ذكره الثمانين

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الرقمية الأولى

ذو الحجة ١٤٤٦هـ / يونيو (حزيران) ٢٠٢٥م

محبوب

محبوب للنشر الرقمي

مسقط / سلطنة عُمان

البريد الإلكتروني:

mahboub.pd@gmail.com

الشيخ المحسن
سالم بن محمد الرّواحي
في ذكراه الثمانين

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،
وعلى آله وصحبه ومن والاه

● تمهيد:

عندما تَشَكَّلَتْ في ذهني معالمُ الكتابة فيما اصطَلَحْتُ على تسميته بـ «جغرافية المخطوط العُماني» رأيتُ بعض النماذج في عُمان تستعصي على الجغرافية، وتتجاوز الحدود المحلية وربما الدولية والإقليمية، وهذا يصح إسقاطه على الأعلام والمصنفات وخزائن الكتب على حد سواء، كما أنه يتمثل واقعًا محسوسًا في أعلام رحالة لا يستقر بهم المقام في مكان، ويتمثل أيضًا في أعلام قلَّ أن يفارقوا ديارهم؛ غير أن قرائح أفكارهم تَسِيرُ مَسِيرَ الغيم الماطر، فينتفع بها الناس، وتمكث في الأرض محفوفةً بالقبول.

هذه الورقات تلخص رحلةً ابتدأت من نحو ٢٧ سنة - وما زالت متواصلة - في البحث عن تراث السَّريِّ التَّبيلِ الشيخ: سَالِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمِ بْنِ سيف الرَّوَّاحِيِّ (المولود بعُمان سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م والمتوفى بزنجبار ليلة الجمعة ٢٣ ذي الحجة ١٣٦٦هـ / ٧ نوفمبر ١٩٤٧م)، لا أهدف من وراء

توثيق تفاصيلها إلى مدح ذاتي، بل أتوخي ضربَ مثالٍ حي على أناس يحق أن يقال فيهم: «رضي الله عنك، لقد أتعبتَ مَنْ جاء بعدك»^(١).

• قَدَّاحَةُ الشرارة الأولى:

في ذيل ديوان (السيف النقاد) كتب الشيخُ المُجاهدُ سليمان الباروني (ت ١٣٥٩هـ) ترجمةً لصاحبِ الديوان، مؤرَّخَةً في ١٠ رمضان ١٣٢٤هـ صَدَّرَهَا بقوله: «كُنَّا أَرْسَلْنَا إلى بعض أكابرِ عُلماءِ جزيرة العرب طلبًا في بيان ترجمة حياة الناظم، فأجابنا منهم العلامةُ الشهيرُ المؤلِّفُ الشيخُ عبد الله بن حُمَيْد السَّالِمِي؛ صاحبُ كتاب (مَشَارِقِ أنوارِ العُقُولِ) في علم الكلام، كما أجابنا الكاتبُ البليغُ الأديبُ الشيخُ سالمُ الرَّواحي باش؛ كاتبُ الحَضْرَةِ السُّلْطَانِيَّةِ بِالرَّجَبِ، فلَخَّصْنَا مِنْ جَمِيعِ ذلك ما يَأْتِي...».

كانت هذه العبارة الخيطة الأول الذي ربطني بشخصية (سالم الرواحي)، واستوقفتني الألقاب التي صاحبت اسمه. ويومَ كنا نتردد على مجالس شيخنا العلامة أحمد بن حمد الخليلي الجُمُعِيَّة؛ سأَلْتُهُ ذات مرة بتاريخ ٢٢ شعبان ١٤١٩هـ / ١١ ديسمبر ١٩٩٨م عن الشيخ الرواحي، فقال: هو والد المشايخ بني رواحة، عُمَّار مسجد (الرضا).

^(١) عن الحسن بن علي قال: «لما احتضر أبو بكر قال: يا عائشة، انظري اللَّقْحَةَ التي كُنَّا نشرب من لبنها، والجَفْنَةَ التي كُنَّا نَصْطَبِحُ فيها، والقَطِيفَةَ التي كُنَّا نلبسها، فإنَّا كُنَّا ننتفع بذلك حين كُنَّا في أمر المسلمين، فإذا مِتُّ فاردديه إلى عمر. فلمَّا مات أبو بكر أرسلتُ به إلى عمر، فقال عمر: رضي الله عنك يا أبا بكر، لقد أتعبتَ مَنْ جاء بعدك». رواه الطبراني (١/ ٦٠).

قصدتُ مسجد (الرضا) الذي كان مجتمعًا لمشايخ بني رواحة، وكان آنذاك عامرًا بثلة من الشيوخ الكبار، فلم أجرؤ على مشافهة أحدٍ منهم، فاستعنتُ بشيخنا أحمد بن سعود السيابي ليكون واسطة التعريف، فعرفني بهم واحدًا واحدًا، وعَرَضَ عليهم مطلوبي، فجئتُ من الغد وسلموني ورقة واحدة كُتبت عليها ترجمة موجزة للشيخ الرواحي، كانت المفتاح الأول للتعرف على شخصيته.

قرأتُ في ورقة الترجمة عبارة مفادها أن (تلقين الصبيان) ألفه الإمام السالمي باقتراح من الشيخ الرواحي، وأنه هو المعني بقوله في مقدمته: «سألني بعض الإخوان» وإن لم يصرح باسمه.

قصدتُ بعدها بقليل مكتبة الإمام السالمي في (بديّة)، بتاريخ الخميس ٥ شعبان ١٤٢١هـ / ٤ نوفمبر ٢٠٠٠م ومن محاسن الموافقات أن وقفتُ فيها على نسخة من (تلقين الصبيان)، محلاة بتعليقات لمؤلفه، وفي أول صفحة منها هذا التعليق: «قوله (بعض الإخوان) هو: سالم بن محمد الرواحي. اهـ (ص)».

وفي اليوم التالي صبيحة الجمعة ٦ شعبان ١٤٢١هـ / ٣ نوفمبر ٢٠٠٠م قصدت الشيخ سالم بن حمد الحارثي في بلدة (المضيرب) من شرقية عُمان، فسألته عن الشيخ الرواحي، وكان من عادته أن يُتحف سائليه - زيادة على المشافهة العلمية - بنسخ من مقتنياته من الوثائق، فأتحفي برسالة من

الإمام الخليلي كتبها تعزيةً لمشايخ بني رواحة في وفاة أبيهم، ونصّها بعد البسملة:

«من إمام المسلمين محمد بن عبد الله بيده؛ إلى المشايخ العزاز الأولاد: حمود وسعيد وحمد بن سالم بن محمد. سلام عليكم ورحمة الله. أما بعد؛ فإننا نحمد الله الكبير المتعال، ونصلي ونسلم على النبي المصطفى والآل. كتابكم والرسول كلاهما وصلا، والله جل وعلا نسأله أن يوسع عليكم من فضله الواسع، وأن يؤهلكم لكل فضيلة، وأن يجعلكم خليفة لذلك الرَّجُلِ الصَّالِحِ الَّذِي قَدِمَ إِلَى رَبِّهِ وَالْمُسْلِمُونَ عَنْهُ رَاضُونَ، وَلِفِعْلِهِ شَاكِرُونَ، فَإِنَّهُ كَانَ نَافِعًا لِلْمُسْلِمِينَ مَتَحَمِّلًا لَأُمُورِهِمْ، فَاللَّهُ يَجْزِيهِ عَنْ أَفْعَالِهِ الصَّالِحَةِ خَيْرَ الْجَزَاءِ. هذا، وسلامنا عليكم وعلى الإخوان وإخوتكم، ونزيلكم الشيخ أبي إسحاق، ومن هنا يسلم عليكم الأعيان والأصحاب. حررته يوم ٢٩ رجب سنة ١٣٦٧هـ».

ومثُلُ هذه الرسالة كفيْلٌ بتحريك العزم الساكن للبحث عن رجل يُثني عليه الإمام الخليلي كل هذا الشناء.

• المقابلات الشفهية:

رجعتُ إلى مسجد (الرضا) عاقدًا العزم على الظفر بوقت أطول مع المشايخ بني رواحة لأعرف تفاصيل حياة والدهم. وقد علمتُ فيما بعد أن أربعةً منهم غادروا دنيانا، وهُم المشايخ: سَعُود؛ أكبر الأولاد، ولد سنة ١٣١١هـ، وتوفي بزنجبار يوم ١٦ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ بعد الانقلاب بقليل.

وَمُحَمَّدٌ؛ قَاضِي زَنْجَبَارَ، وُلِدَ سَنَةَ ١٣٢٧هـ بِزَنْجَبَارَ، وَتَوَفَّى فِي ٨ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٠٤هـ بِعُمَانَ. وَعَلِيٌّ، وَلَدَ سَنَةَ ١٣٤٥هـ، وَتَوَفَّى فِي دَارِ السَّلَامِ بِتَنْزَانِيَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ٢٩ رَجَبِ سَنَةِ ١٤٠٩هـ. وَأَحْمَدُ، وَلَدَ سَنَةَ ١٣٤٧هـ، وَتَوَفَّى بِعُمَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ٧ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ١٤١٠هـ.

وَإِذْ فَاتَنِي الْجُلُوسُ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ حَرَصْتُ عَلَى عَدَمِ تَفْوِيتِ الْجُلُوسِ مَعَ الْخَمْسَةِ الْبَاقِينَ، وَهَمُّ الْمَشَايخِ: مُحَمَّدٌ؛ وُلِدَ فِي ١٣ الْمَحْرَمِ ١٣٢٩هـ، وَتَوَفَّى بِعُمَانَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ ٩ رَمَضَانَ ١٤٢٥هـ. ثُمَّ سَعِيدٌ؛ وُلِدَ سَنَةَ ١٣٣٧هـ. وَتَوَفَّى بِعُمَانَ صَبَاحَ ١٨ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٢٧هـ. وَحَمْدٌ؛ وُلِدَ سَنَةَ ١٣٤٠هـ، وَتَوَفَّى بِعُمَانَ يَوْمَ ١٨ رَمَضَانَ ١٤٣٤هـ. وَهَلَالٌ؛ الْخَطَاطُ، وُلِدَ سَنَةَ ١٣٤٣هـ، وَتَوَفَّى بِعُمَانَ يَوْمَ ٨ شَوَّالٍ ١٤٤٣هـ. وَعِيسَى أَصْغَرُ الْأَبْنَاءِ، وُلِدَ سَنَةَ ١٣٥٢هـ، وَتَوَفَّى فِي ١٠ رَجَبِ ١٤٣٥هـ.

فَطَرَقْتُ أَبْوَابَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَتَرَدَّدْتُ عَلَيْهِمْ مَرَارًا فِي الْمَسْجِدِ وَفِي بَيْوتِهِمْ، وَحَظَيْتُ مِنْهُمْ بِخَيْرٍ وَفِيرٍ، جَزَاهُمُ اللَّهُ عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَأَمَدَّ فِي عُمْرِ ذَرِيَّتِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَبَارَكَ فِيهِمْ وَنَفَعَ بِهِمُ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ.

وَلَمْ أُخَلِّ مَسَامِعِي مِنْ فَوَائِدِ الشُّيُوخِ الْكَرَامِ: سَعِيدُ بْنُ حَمْدِ بْنِ سَلِيمَانَ الْحَارِثِيِّ، وَسَالِمُ بْنُ حَمْدِ بْنِ سَلِيمَانَ الْحَارِثِيِّ، وَسَلِيمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّالِمِيِّ، وَسَعِيدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخُرُوصِيِّ، وَمُوسَى بْنُ سَالِمِ بْنِ سَلِيمَانَ الرَّوَاحِيِّ، وَالْحَاجُّ مُحَمَّدُ ابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ أَطْفِيشَ، وَأَحْمَدُ بْنُ سَعُودِ السِّيَابِيِّ.

وفي كل فائدة ألتقطها من هنا وهناك أراجع شيخنا الجليل أحمد بن حمد الخليلي، لأستفيد من تبصيره بخبايا الأمور، وضبطه لدقائق التواريخ.

• محطات رحلة البحث عن الشيخ الرواحي:

- تمهيد:

أوردتُ في كتابي (التاريخ المصور للشيخ سالم بن محمد الرواحي) مسرداً بأسماء الأعلام الذين ارتبط بهم الشيخ الرواحي ارتباطاً مباشراً، ولا ريب أن القائمة أطول من ذلك، لأنني اكتفيتُ بذكر مَنْ وجدتُ له صلة موثقة، وغيرُ خافٍ أن مكانة الشيخ الاجتماعية والعلمية والعملية فتحتُ له أبواب صلات واسعة. وهذه المكانة هي التي وسَّعت الرقعة الجغرافية لتراثه، فذاعت شهرته في أرجاء المعمورة.

- عُمان:

عمان مسقط رأسه، وموطنه الأول الذي دَرَجَ فيه، وقضى فيه طفولته وشببته الأولى. ومنها انطلاقة البحث عن آثاره، وعلى الأخص من (نخل) موطن أجداده، أو من بلدة (مسلمات) بوادي المعاول؛ التي استقرت فيها عائلته.

وإلى وقت قريب كانت في (مسجد المُكَبَّر) - قريبا من عين الشوارة في نخل - كتابةٌ لجده سالم بن سيف الرواحي، انمحت بعد ترميمه. وثمة

كتابات أخرى أيضا لوالده: محمد بن سالم بن سيف الرواحي (المتوفى في مسلمات يوم ٢٩ المحرم ١٣٢٠هـ).

والعائلة عريقة في حسن الخط والعناية بالكتب ونسخها، سيان في ذلك رجالها ونساؤها. فجدة الشيخ سالم بن محمد الرواحي - وهي والدته والده - تسمى: غيثا بنت سعيد بن مصبح الرواحية، لها كتابة على مصحف موقوف بمسجد (الطمين) في مسلمات. ووقفت على دعاء بخط يدها الجميل (في دار المخطوطات العمانية؛ رقم ١٨٧٧). ويبدو أنها هي الجدة المقصودة في الرواية الشفهية، التي حثت حفيديها عبد العزيز وسالما على القدوم إلى زنجبار، بعد أن ذكرت للسلطان برغش حُسنَ خطهما. وقد عُمرت وعاشت بعد ولدها محمد بن سالم، وتوفيت بعيد سنة ١٣٢١هـ.

وعمة الشيخ سالم بن محمد تسمى: شمساء بنت سالم بن سيف الرواحية؛ نُسخ لها كتاب «مراهم القلوب في مناجاة المحبوب» في الزهد والمواعظ، سنة ١٣١٧هـ.

أما والدته الشيخ سالم بن محمد فهي: عفيفة بنت عبد الله بن سالم الرواحية؛ عمة الشيخ الزاهد: محمد بن شامس بن عبد الله بن سالم الرواحي.

ولا تكاد خزانة من خزائن المخطوطات في عمان تخلو من أثر للشيخ سالم بن محمد الرواحي، فقد كان مقصد الخاصة والعامة، يكفي أن نعلم أن الإمام السالمي كان إذا افتقد كتابا في عُمان أرسل إلى الشيخ

الرواحي يسأله عنه لغلبة ظنه أنه عنده، وفي المقابل كان الإمام السالمي إذا فرغ من تصنيف شيء من كتبه بادر بإرساله إلى الشيخ الرواحي في زنجبار، فينسخه النُّسَاح ويتداوله أهل العلم.

- زنجبار:

الأمر نفسه يقال عن زنجبار، فقد بدأ الشيخ في اقتناء المخطوطات وهو دُونَ الخامسة عشرة، وكان أول أمره ينسخ بيده، ثم صار حوله جملةً من النساخ يكتبون له، وارتبط بقطبي المذهب في زمانه؛ قطب المغرب العلامة أطفيش، وقطب المشرق الإمام السالمي، وكان كلاهما يرسل له جديدَ مصنفاته. والواقع يشهد على بصماته الموزعة في خزائن زنجبار الخاصة، والموقوفة على المساجد والمدارس، ومراكز الوثائق الرسمية في دول الشرق الإفريقي قاطبة.

- خارج الوطن:

أما من حيث الترحال بشخصه فإن استثنينا تردُّده بين عمان وزنجبار لا نجد له رحلات خارج هذين القطرين إلا إلى الحج، وقد حج ثلاثَ مرَّاتٍ: أولاهنَّ في مُقْتَبَلِ عُمُرِهِ سنة ١٣٠٧هـ. والثَّانِيَّة سنة ١٣٢٠هـ برفقة السلطان علي بن حمود. والثالثة سنة ١٣٤٧هـ، لَقِيَ فِيهَا الشَّيْخَ بَيُوضَ إبراهيم بن عمر الجزائريَّ المزابي.

وكان من مقتضيات الرحلة إلى الحج أن يَمُرَّ القادم من أرض السواحل على بنادر الهند أولاً (والبندر: الميناء)، ومنها يَسْلُكُ طَرِيقَهُ إِلَى

بنادر الجزيرة العربية. لذا كان الشيخ الرواحي في رحلاته يستقل مركبًا إلى كراتشي (في باكستان حاليًا)، ثم مركبًا آخر إلى جدّة، وقد انتهز الفرصة في إحدى تلك الرحلات فنَزَلَ مُمْبَاي (بومباي) وطبع فيها كتاب (لطائف الحكم). وتظل الهند محطة جديرة ببحث مكثف في خزائنها ومراكزها العلمية وإرشيفاتها؛ لصلة العمانيين القوية بها عبر العصور.

- المكتبات العالمية:

اجتمعت في الشيخ سالم بن محمد الرواحي ثلاثة عوامل رئيسة خرجت به من حدود المحلية إلى العالمية: شَغْفُهُ بالمخطوطات جمعًا ونَسْخًا وضبطًا، واشتغاله بالكتابة السلطانية لحكام زنجبار، ودخوله معترك الطباعة والمطابع. ورزقه الله القبول لدى الناس، فكان مبارك القصد والمقصود. ومَنْ أراد أن يتلمّس آثاره أعياء المبتدأ، وبُعَدَ عنه المنتهى، وطال عليه الدرب، فخزائنُ عمان ملأى بمخطوطاته ووثائقه، ومثلها خزائن زنجبار، وعَرَّجَ على الإرشيف الرسمي فيها تجد خطوطه في عامة سجلاته، وبعض المكتبات الخاصة في تانغا، وإرشيف حكومة كينيا، وإرشيف جزر القمر، والإرشيف الصومالي، وبعض المكتبات الخاصة في اليمن. وحوالي عُمان له آثار في سجلات أوقاف مكة المكرمة، وفي المكتبة الوطنية القطرية، وفي الديوان الأميري في البحرين والكويت، والديوان الملكي في العراق، والمكتبة الظاهرية في دمشق، والمكتبة الوطنية في بيروت.

وأنحُ ركابك في مصر، تجد دار الكتب المصرية حافلةً بآثاره، وكثيرٌ منها يعود للمكتبة التيمورية. ثم في مكتبات جبل نفوسة في ليبيا، ومكتبات جزيرة جربة في تونس، ومكتبات وادي مزاب في الجزائر، والمكتبة الوطنية التونسية، والمكتبة الوطنية الجزائرية.

وقد وقفتُ على آثاره في المتحف الوطني براكوف في بولونيا، والمكتبة الوطنية الفرنسية، ومكتبة ستراسبورج الوطنية والجامعية، وأرشيف وزارة الخارجية في باريس، وبعض المكتبات الخاصة في بلجيكا، والمكتبة الجامعية الملكية في توبنجن بألمانيا، ومكتبة جامعة ماستريخت في هولندا، والمكتبة البريطانية.

وهذه كلها ليست إلا مفاتيح للباحثين الجادين، تُخفي وراءها أبوابًا مُشرعةً لأبحاثٍ واسعة عن هذا الرجل الجليل.